الخاتمة

لا يخفى أن للشعر مهمة إنسانية جليلة وأن هذا الجلال وهذه الإنسانية جعلت من الشاعر الذي هو أكثر إحساساً من غيره، وأكثر رهافة، فانطوائه وميله للحدود الإنسانية ودفاعه عنها دليل إبداعه ورسمه للحالات الإنسانية بكل أوجهها، ومن هذا المنطلق نرى الشعراء يحملون الكثير من المصاعب كالسجن والنفي والغربة، وما تمليه عليهم من هموم وآلام وحسرة وانقطاع عن الأهل والوطن وما إليها !

وبهذه السطور القليلة أود أن أجمل معنى الاغتراب الذي هو دليل دراستي هذه، لأنه غرض متميز وواضح في قاموس الأدب العربي، كتبت عنه الأدباء وعبروا عن عواطفهم الجياشة التي أضنتها الغربة بمفارقة الأهل والأوطان والأحبة والبعد عن الديار، وقد اهتمت الدراسات من كل حدب وصوب بهذا اللون من الشعر الذي تقوده أسباب كثيرة وتؤجج نار سعيره الملتهبة من النفي والسجن والتشريد وطلب الرزق وغيرها !

وقد وضحت هذه الأسباب من خلال دراستي لشعر الإغتراب الذي عرفه الكثير من الشعراء والفلاسفة بأنه شعر الحنين إلى الأهل والوطن، ولكون الشاعر مطبوعاً بالتنقل والترحال، مثله كمثل النحلة إذ تنتقل من زهرة إلى زهرة لجمع الرحيق الذي يتحول بالتالي إلى غذاء وشفاء من كل داء، كذلك الشاعر يحول حالاته وانبعاثه بمخاطبة الغربة والحنين إلى الأهل والوطن، ومكافحة الآفات الاجتماعية التي تكبل واقع الأمة بقيودها من ظلم ونفي وسجن وما إليها !

وهذه تتولد عند مطاردة هذه الآفات ومعالجتها حتى في أضعف الإيمان بالإعلان عنها والتعريف بها، فهي إنسانية محضة نراها ونقرؤها في الكثير من القصائد والمدونات التي أرخها لنا شعراؤنا وبالخصوص شعراء الاغتراب !!

ففي العصر الحديث تزامن شعر الاغتراب مع ما منيت به دول الشرق ولا سيما العربية بالهجمات الإمبريالية الشرسة وسيطرة الاستعمار على المنطقة وسلب خيراتها واستعمار

شعوبها التي كانت سبباً للاغتراب والنفي إلى آماكن بعيدة، فكانت هـذه الآلام وهـذا الوجع الذي كابده الكثير من أدبائنا، فكان هذا الكم الهائل من أشعار المغتربين التي تشكل اليوم مؤسسة ثقافية كبرى في العالم من دراسات وكتابات ونقد وشعر وغيرها من الفنون الأخرى !

وموضوع الاغتراب من المواضيع التي عالجها الأدباء والشعراء والفلاسفة منذ أقدم العصور واجتهدوا في ألتماس أصول فكرة الاغتراب لفظاً ومعنى، وعبروا عنه في كافة العصور (الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، الأندلسي) بأساليب مختلفة وكلها انحصرت بالتالي على معنى البعد عن الأوطان والحنين والشوق لها وللأهل والأحبة !!

فما دام الاغتراب مُلهماً للشعراء المبدعين ومصدر لطاقاتهم المتدفقة شعراً ونثراً، وأن الشعر معاناة وآلام يعيشها الشاعر تنساح على هيئة كلمات تقطر دماً، فليس هناك معاناة أكبر وأشد من معاناة الغربة وما تمليها على نفسية المغترب لا سيما إذا كان شاعراً، تتجسد الحالات له كصور تتراءى أمام عينيه وخياله المرهف، عندها يدخلها بعدسته الحاذقة !

والغريب يرى الحياة خارج وطنه وبعيداً عن أهله وأحبته مجرد هيكل لا يحمل بداخله غير الأسى والشوق واللألم!

وشعرية الاغتراب التي نحن بصددها في هذه الدراسة تتمثل بالشيء الذي يجعل الاغتراب نفسه شعراً، بلغة الذات .

فالروح حين تهجر الجسد يحدث الاغتراب، والجسد عندما يهجر الوطن والديار يحدث الاغتراب ويتيه في بحر لجَي، تندرج كل معالم صور الكون في فكره ويصبح طيراً محلقاً على أجوائه، حيث يفكك فوضى الأشياء ليرسمها لنا بريشة الرسام الحاذق، طالما البعد والوحدة والألم أتحدت بذات الشاعر والمغترب ودفعت أفكاره إلى الشرود والتيه !

إضافةً إلى زيادة وعي المغترب وإبداعه بفعل الاحتكاك بالآخر، والاطلاع على مناهج وآداب وثقافات العالم، وبالتالي مغايرة الإنسان لذاته بوصفها محل اهتمامه الأول، ولكون

الشاعر يبحث عن واقع المكان الذي يعيش فيه ليدخل الآلة والعقل الأداتي في محور التمدن والحداثة، وتعامله مع الطبيعة وإخضاعها مع الرغبات المفروضة عليه، لمواكبة سير الحياة هناك !

كل هذه الأسباب دعت إلى رفع الوعي الثقافي والأدبي الذي جعلنا ننظر إلى هذا الموقف الشعري الثر، الذي هو وليد هذا الفضاء!

وأخيراً لقد أخذت هذه النماذج من شعرائنا العراقيين الذين لفتهم الغربة وبعدهم عن الأهل والأوطان كأنموذج وأمثلة، وذلك لتحليل أشعارهم تلك، للحضور المكثف للأبعاد الاغترابية في متونهم الشعرية، كما أنهم يمثلون مرحلة مهمة من مراحل الاغتراب التي تحمل على عاتقها مسألة الأمة السياسية والإنسانية، وإعلانها على العالم أجمع !

وما قصيدة الشاعر الكبير بدر شاكر السياب (غريب على الخليج) وقصيدة شاعر العرب محمد مهدي الجواهر (يا دجلة الخير) وقصيدة (يقضان) للشاعر مصطفى جمال الدين وقصيدة (نشيد أوروك) للشاعر عدنان الصائغ وقصائد أخرى ضمتها هذه الدراسة إلا دليل إعلان قضيتنا أمام العالم أجمع وتعريفه بالمسألة العراقية الكبرى والظلم الذي لحق العراق وشعبه وبعده عن ركب الأمم المتحضرة !!

فالهدف الرئيس من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على نتاجات شعراء الغربة العراقيين بالذات في العصر الحديث وإعطائه حقه الذي يستحقه من الدراسة والتحليل مما سيتيح المجال لدراسات أخرى قادمة أكثر تركيزاً، وهذا ليس بعيد على كتابنا وأدبائنا المبدعين !!